ISSN : 2523 – 1871

الدكتور الهادي أبولقمة: سيرة علمية مشرقة

د. سعد محمّد الزليتني•

المستخلص:

تقدّم هذه الدارسة عرضًا للسيرة الذاتية للأستاذ الدكتور الهادي مصطفى أبي لقمة، أول الجغرافيين الليبيين، من خلال ذكر جوانب من سيرته الشخصية، وإسهاماته العلمية؛ وصولا إلى عطائه الأكاديمي في مجالات عدة.

مقدمة:

تحفل الذاكرة الليبية بأسماء شخصيات وطنية رائدة، تركت بصمات مجيدة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية كافة، ويبرز من بين هذه الشخصيات اسم الدكتور الهادي مصطفى أبو لقمة (1934–2017)، الذي يعد رائدًا في مجال تخصصه، باعتباره أول مواطن ليبي يحصل على درجة علمية عالية في علم الجغرافيا، ولإسهاماته المتعددة في هذا المجال. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذه الشخصية المبدعة التي اجتمعت فيها صفات وخصائص مميزة، عكست سيرة علمية مشرقة جديرة بالبحث والتقصي. تنتظم هذه الدراسة من هذه المقدمة وأربعة أقسام ثم الخاتمة. حيث يتضمن القسم الثاني توضيحا لأهمية الدراسة وإجراءاتها، ويقدم القسم الثالث موجزًا للخلفية النظرية والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، ويوضح القسم الرابع نشأة صاحب السيرة وتأسيسه العلمي، ويختص القسم الخامس بتحليل عطائه الأكاديمي في مجالاته المختلفة.

أولا: أهمية الدراسة وإجراءاتها:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج موضوع السيرة أو الترجمة الحياتية للشخصيات البارزة في المجتمع، وهو موضوع لم ينل الاهتمام المناسب من قبل المهتمين والباحثين في الشأن الليبي خلال الفترات الحديثة. مما قد يتطلب مزيدًا من البحث في هذا المجال؛ للتعرف على جوانب مختلفة من التراث الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلاد. وتستند الدراسة على المنهج التاريخي الوثائقي (الجبوري، 2013)، من خلال تطبيق أسلوب السيرة الذاتية التفسيرية Interpretive Biography، الذي يهدف

• قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بنغازي.

إلى الكشف عن الأحداث البارزة في حياة الشخصية –قيد البحث– وعن تطورها وإسهاماتها من خلال دراسة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبيئة التي نشأت وترعرعت فيها (Jacob, 2007).

وتعتمد دقة تحليل النصوص والوثائق –ذات العلاقة– وتفسيرها على إمكانات الباحث، ومدى فهمه واستيعابه للوقائع والأحداث التي تتضمنها هذه النصوص والوثائق، وبصفة عامة يمكن تصنيف الحقائق الأساسية التي ينبغي أن تتضمنها السيرة الحياتية إلى الآتي:

- معلومات ثابتة، مثل: تاريخ الميلاد ومكانه، بيانات الأصل والنسب ومعلوماتها، تاريخ الوفاة ومكانها.
- معلومات متغيرة، مثل: الخلفية التعليمية، الوظيفة أو المهنة، المكانة الاجتماعية، جهة التبعية.
- الصلات الشخصية، مثل: علاقة الزواج، العلاقات العائلية، العلاقات الاجتماعية والوظيفية.
- الخصائص الفردية: النشاطات الوظيفية، الأحداث الشخصية.

ثانيا: الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

لدى دراسة هذا الموضوع تبرز قضية الخلط بين مفهومي السيرة والترجمة، اللتين استخدمها البعض باعتبار إحداهما مرادفة للأخرى، ويدوران على معنى واحد هو تاريخ الحياة. غير أن الباحثين في التراث العربي أشاروا إلى وجود فروق بينهما، يمكن إيجازها بأن الترجمة تعني التعريف المختصر بالأعلام البارزين. بينما تتسم السيرة بالطول والعناية الفائقة بالشخصية محور السيرة، وتلقي أضواءً كاشفة على الجانب الذي تجلّت فيه هذه الشخصية، وهي نوع من الأدب يجمع بين التدوين التاريخي والإمتاع القصصي. كما يصف بعض المختصين –(النجار، 1964، ص 61)– السيرة بأنها:

> أحفل من التأريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة والأحاسيس النابضة؛ لأنها تعرض سيرة الفرد وجوانب حياته المختلفة، حتى تتجلى مقومات شخصيته، وتبرز معالم حياته؛ لتفصح عن سر نبوغه وتفرده، إذ لا تحفل السير إلا بكل نابغة فريد.

وتكتسب السير والتراجم أهمية بالغة لدى كافة المجتمعات لأسباب عديدة، لعل من أبرزها: أنها تساعد الأجيال على استيعاب الأحداث الماضية، وشخصياتها البارزة، ودراسة تاريخ الأمم والمجتمعات، والانعكاسات التي تخلفها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على تلك المجتمعات عبر الزمن. وهي من ناحية أخرى تسهم في تعزيز الفضائل بين الأفراد من خلال محاكاتهم للسلوكيات النبيلة، ونبذ السلوكيات المشينة للأشخاص المترجم لهم. كل ذلك يفرض التزامًا أدبيا على الأجيال اللاحقة بضرورة

كتابة السير والتراجم للعظماء والمبدعين من الرجال والنساء (Kessler-Harris, 2009). وتفيد الدراسات ذات العلاقة -(الدقاق، 1977، ص 46)- بأن موضوع السير والتراجم كان يحظى باهتمام واضح في زمن صعود الحضارة العربية الإسلامية:

فقد أولى العرب اهتمامًا بالغًا بالتراجم، ولعل الباعث على ازدهار هذا الفن هو حرص الأوائل على معرفة صدق رواة الحديث وحفّاظه، ومنزلتهم في العلم والتقوى وفي الدقة والأمانة، فقد خلف الأجداد ذخيرة من المصنفات في تراجم الصحابة ورجال الحديث والأطباء والحكماء والأدباء والشعراء والنحاة واللغويين.

غير أن هذا الاهتمام تناقص في الفترات اللاحقة، ليعود بوتيرة بطيئة خلال العصور الحديثة، ولعل من أبرز الذين اهتموا بهذا النوع من الفنون الأدبية العلّامة خيرالدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام.(الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت،2008).

وعلى الرغم ممّا يحظى به هذا الموضوع من اهتمام وتقدير من قبل الباحثين والمهتمين في العديد من المجتمعات المتقدمة أو النامية، فإن العكس يبدو واضحًا في المجتمعات العربية بصفة عامة، والمجتمع الليبي على وجه الخصوص؛ ولعل ذلك يعود إلى قلة المصادر المنهجية والتطبيقية المساعدة، وكذلك لعزوف أغلب المبدعين والبارزين عن توثيق سيرهم وإنجازاتهم؛ اعتقادًا منهم بأن ما قاموا به لا يشكل أهمية تتطلب القيام بذلك. وفي هذا الشأن يذكر أحد المهتمين (الجلواح، 2013، ص 210) ما يأتي:

...المعروف أننا في الوطن العربي، لا يُولي أباؤنا وعلماؤنا ومبدعونا اهتمامًا يذكر بأنفسهم وأعمالهم ومآثرهم، بل كانوا يفرطون في التواضع والغمر ، والظن أن أعمالهم تلك لا تستحق الكتابة أو التنويه عنها أو متابعتها؛ لأن هناك ما هو أفضل منها، ومن هم أحسن منهم. وهذا الإفراط في التواضع والتقليل من أهمية الأعمال جعلهم يفرِّطون في القيمة الفعلية والتاريخية للنتاج الفكري البشري في المنطقة، مما ترك مسؤولية صعبة لدى الباحثين والراصدين والجامعين للتراجم للحصول على ما يمكن الكتابة فيه عنهم.

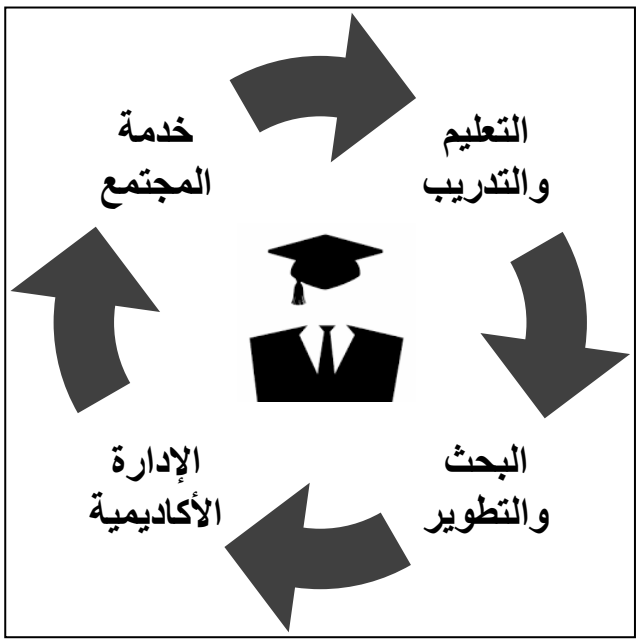
ومع إقرارنا بصحة ما ذكر أعلاه، فإن هناك قلة ممن اهتموا بتدوين سيرتهم ومسيرتهم الحياتية والإبداعية ما يمثل استثناءً لتلك القاعدة. ولعل من أبرزهم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي

ترك لنا تراثا ذا قيمة علمية وأدبية تمثّل في كتابه "الأيام"، الذي تضمن سردًا شيقًا لمراحل مهمة من حياته المترعة بالأحداث والمواقف، سواء على المستوى الشخصي أم العام. أما في ليبيا فيمثل هذا الاستثناء الدكتور محجوب الفائدي بتوثيقه لمواقف مهمة من حياته ضمن سياق اجتماعي واقتصادي وسياسي، ساد البلاد في فترات مختلفة من حياته (الفائدي، 2013)، وكذلك الدكتور أبو لقمة –موضوع هذه الدراسة– الذي قام هو الآخر في أواخر أيامه بتسجيل محطات مهمة من حياته الشخصية والمهنية بصورة موجزة[2].

وحيث إننا نسعى لتناول جوانب من سيرة الدكتور أبي لقمة "الأستاذ الجامعي"، الذي لم يعرف عنه أنه قام بممارسة أي مهنة أو نشاط آخر، فسنعتمد في توضيح إنجازاته واتجاهاته على تتبع إسهاماته ونشاطاته بصفته أستاذًا جامعيًّا ينتسب إلى مؤسسة أكاديمية عريقة، لها تقاليد وأهداف تسعى إلى تحقيقها من خلال المهام التي يؤديها ويلتزم بها أعضاء هيئة تدريسها، وهي تتركز حول أربعة مجالات رئيسة (الشكل 1)، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية (Blackburn and Lawrence, 1995, p. 630):

- **مجال التعليم**: ويتطلب القيام بإعداد المحاضرات وعرضها، وتنظيم الحلقات الدراسية للمقررات الدراسية التي يكلف بها، وكذلك الإشراف العلمي على الطلاب، وتقديم النصح والإرشاد لهم بمرحلتي الدراسة الجامعية والدراسات العليا.
- **مجال البحث والتأليف**: ويتطلب إجراء البحوث والدراسات المعمّقة ونشرها في مجالات تخصصهم، وكذلك تأليف الكتب المنهجية والمقررات التي تتطلبها العملية التعليمية.
- **مجال الإدارة**: وتتمثل في المهام التي يكلف بها أعضاء هيئة التدريس داخل الجامعات أو خارجها، وتقديم الاستشارات بمقابل مادي أو دون مقابل؛ باعتبارهم متخصصين في مجالات تتطلبها بعض الوظائف والنشاطات الإنتاجية والاجتماعية.
- **مجال خدمة المجتمع**: وهو تعبير جامع ينسحب على كل ما يتعدّى نطاق عمليتي التعليم والبحث العلمي، فالجامعات تخدم مجتمعاتها في نواحٍ كثيرة، وذلك من خلال تشجيع أعضاء هيئة التدريس على القيام بأدوار مختلفة في مجالات تتطلبها عمليات تنمية المجتمع، بما يسهم في إحداث تطورات إيجابية.

[2] عنوان السيرة الذاتية هو: الهادي مصطفى أبو لقمة (قيد النشر) كتاب "حياة عشتها"، مخطوط.



الشكل 1: مجالات إسهام عضو هيئة التدريس الجامعي

ونظرا لتعدد الأدبيات فسنشير بإيجاز إلى بعض الدراسات الحديثة، فعلى المستوى المحلي نذكر الكتاب التوثيقي لسيرة شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي (1898–1961)، الذي تضمن تحليلًا لحياة هذا الشاعر وآثاره، من خلال تحقيق نصوص ووثائق جمعت من مصادر متنوعة (الكبتي، 2005). وتناولت دراسة أخرى سِيَر 23 مؤرخًا ليبيًّا، من خلال الإشارة إلى ما تركوه من آثار قيِّمة، وأبرز الموضوعات التي تناولوها، والأساليب والمناهج التي طبقوها في دراساتهم وأبحاثهم (المصراتي، 2002).

أما بالنسبة للدراسات –ذات العلاقة– بالمنطقة العربية فنجد الدراسة التي تناولت سيرة الأكاديمي والمؤرخ المعروف نيقولا زيادة (1907–2006)، اشتملت على تحليل جوانب مختلفة من حياته ومؤلفاته ومنهجه في البحث التاريخي (بيضون، 2011). وهناك دراسة أخرى تناولت شخصية أكاديمية بارزة، لها بصمة واضحة في تاريخ الفكر العربي المعاصر، وهو الدكتور أحمد زكي (1894–1975)، الأستاذ الجامعي ومؤسس مجلة العربي الكويتية الشهيرة، وقد تناولت الدراسة سيرة حياته ومسيرته العلمية والفكرية، وفق سياق تاريخي متسلسل منذ بداياته الأولى حتى أواخر أيامه، وما قدمه من إنتاج علمي تميز بالغزارة والأصالة الفكرية (الجوادي، 2005). ولعلنا نجد في سيرة الدكتور أبي لقمة بعض السمات المشتركة مع هذه الشخصيات الفذة، وهذا ما سنبينه في الجزء الآتي.

ثالثا: النشأة والتأسيس العلمي:

ولد الدكتور أبو لقمة عام 1934 بمدينة الزاوية، في كنف أسرة ميسورة متماسكة، وكان والده الحاج مصطفى أبو لقمة من وجهاء منطقته، واشتهر بينهم باسم الرايس، وهو لقب دارج يطلق على الشخص الذي يحظى بالتقدير والاحترام في منطقته، وقد وصفه الدكتور أبو لقمة بأنه رجل منفتح على روح العصر، اتسمت علاقته بأبنائه بالثقة والاحترام المتبادل، وكان دائم التشجيع لهم على طلب العلم واكتسابه. تلقى الدكتور أبو لقمة سنوات تعليمه الأولى بمدينة الزاوية، الواقعة غرب العاصمة طرابلس، حيث درس مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن بمسجد المنطقة مثل بقية أقرانه. وحين أنشأت السلطات الإيطالية أول مدرسة نظامية بالمدينة التحق بتشجيع من والده بها، ونال منها الشهادة الابتدائية، التحق بعد ذلك بالمدرسة الثانوية بمدينة طرابلس التي حاز منها على الشهادة الثانوية (التوجيهية آنذاك) في عام 1951.

بعد حصوله على الشهادة الثانوية أوفد إلى الدارسة في جامعة القاهرة، التي نال منها درجة الليسانس في الجغرافيا في سنة 1957، ثم أوفد إلى بريطانيا ضمن أول بعثة للدراسات العليا، حيث حصل على درجة الماجستير من جامعة درهم في عام 1960، وبعد عودته عُيِّنَ في السنة نفسها محاضرًا بقسم الجغرافيا بكلية الآداب، التي تعد نواة لأول جامعة في ليبيا، ثم أوفد في بعثة دراسية أخرى للحصول على درجة الدكتوراة، حيث حصل عليها من الجامعة ذاتها في عام 1964. وعقب عودته واستقراره نهائيا بالجامعة الليبية بمدينة بنغازي آنذاك مارس كافة المهام التي تتطلبها هذه الوظيفة، إلى أن تقاعد في عام 1996، وإن استمر عطاؤه بصفة أستاذ شرف حتى وفاته في شهر أبريل سنة 2017.

قد عاصر الدكتور أبو لقمة خلال سنوات حياته التي ناهزت 83 عامًا، أحداثا وتحولات جسام شهدتها البلاد في تاريخها الحديث والمعاصر، تمثلت في اندحار المستعمر الإيطالي الذي جثم على صدور أبناء البلاد ما يزيد عن ثلاثة عقود (11-1944)، وسنوات الحرب العالمية الثانية (39-1944) التي اكتوت البلاد بويلاتها، ثم عهد الإدارتين البريطانية والفرنسية (43-1951)، ومرحلة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية (51-1969)، وكذلك فترة الانقلاب العسكري والحكم الفردي (1996-2011). وقد امتدت به الحياة ليشهد انتفاضة 17 فبراير التي أطاحت بالحكم الفردي في عام 2011، إلا أن يد المنون لم تمنحه فرصة حضور نهاية مآسيها، حيث تُوُفِّيَ يوم 10 أبريل 2017، وهو يتأسف أشد

الأسف على الأحوال السيئة التي تعيشها البلاد، كل هذه الأحداث والتحولات مثلت منعطفات مفصلية في سنوات حياته التي جاوزت الثمانين حولًا.

قد كان لتلك الأحداث –دون شك– تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في تشكيل شخصيته ونمط حياته، غير أن الأمر الذي تمسك به ولم يحد عنه طوال سنوات عمره هو حبه لوطنه والتفاني في خدمته. قد كان الدكتور أبو لقمة وطنيا حتى النخاع، على الرغم من أن جزءًا غير يسير من حياته قضاه خارج حدود الوطن إبَّان سنوات دراسته في جامعة القاهرة المصرية وجامعة درهم البريطانية، فإن الوطن كان دائما حاضرًا في قلبه وضميره، فتحصيله المعرفي على حساب مجتمعه مثل حافزًا لأن يكون مخلصًا ونافعًا لبلده ومواطنيه وأمته. أما على المستوى الشخصي فقد تميز الدكتور أبو لقمة بالتواضع والتسامح والإخلاص لقيم مجتمعه وعاداته، واتسمت إسهاماته الفكرية كافة بالإخلاص وعمق التحليل ودقة المعاني وحسن الصياغة والتعبير، وهذا ما سنبينه من خلال تحليل عطائه الأكاديمي في مجالاته المختلفة.

رابعا: العطاء الأكاديمي:

يقف الدكتور أبو لقمة في الصف الأول بين الأكاديميين الليبيين، فقد اقترنت حياته بهذا الوسط الأكاديمي لما يزيد عن ستين عاما، واستمر عطاؤه في هذا المجال حتى بعد تقاعده، ليسهم في المجال الأكاديمي متفرغًا بصفة أستاذ شرف في العديد من مؤسسات التعليم العالي، داخل البلاد وخارجها حتى وفاته، وقد مثل الفقيد قمة العطاء باعتباره أستاذًا جامعيًّا مارس مهامًّا أكاديمية متعددة ومتنوعة، كما سنبيّن ذلك في الفقرات الآتية:

1) في مجال التعليم والتدريب:

بعد حصوله على درجة الدكتوراة من بريطانيا في عام 1964 وعودته إلى أرض الوطن، قام بتدريس مقررات تخصصية في العلوم الجغرافية لطلاب الدراسة الجامعية وطلاب الدراسات العليا، وقد كان عطاؤه متواصلًا منذ ذلك التاريخ حتى الإعلان عن قراره التوقف عن ممارسة التعليم في عام 2016؛ بسبب ظروف صحية ألمّت به، ووفقا للبيانات والمعلومات المتوفرة فقد ظل يسهم في العملية التعليمية باقتدار لاسيما في برامج الدراسات العليا، حيث قام بتدريس مقررات دراسية في عدة مؤسسات تعليمية داخل البلاد وخارجها، فضلا عن قيامه بالإشراف العلمي على العديد من الرسائل والأطروحات خلال الفترة الواقعة بين عامي 1990–2016، حيث بلغ عدد من حازوا درجة الماجستير أو درجة الدكتوراة

تحت إشرافه 66 شخصا، منهم 40 من الذكور، و(26) من الإناث. وفي هذا المقام لابد من التنويه إلى أن الفقيد كان دائما مناصرا لقضايا التعليم بصفة عامة، ولحق المرأة في الحصول على فرص التعليم العالي في كافة التخصصات لاسيما في التخصص الجغرافي، الذي كان حتى قت ليس ببعيد حكرا على الذكور، فقد كان سروره عظيما حينما حازت أول فتاة ليبية على درجة الماجستير في الجغرافيا تحت إشرافه من جامعة بنغازي[3]، حيث ذكر في تقديمه لها يوم مناقشة رسالتها ما يأتي:

انقضت أربعون عاما على بداية أول دفعة تلتحق بقسم الجغرافيا دون أن يكون بينها طالبة واحدة، حتى نالت ثلاث منهن استحقاقهن ضمن خريجات الدفعة العاشرة للعام الجامعي 1968/67 مسجلات بذلك سبقا على من توالى منهن فيما يشبه المتوالية الهندسية، عاكسات بذلك وضعا ظل سمة عامة لخريجي الجامعة. كان سرورنا يومها عظيما، أما اليوم ونحن نسعد بمناقشة أول رسالة ماجستير لأول معيدة، يحتضنها هذا القسم للانضمام إلى أعضاء هيئة التدريس به، فهو أعظم بكل تأكيد.

2) **<u>في مجال البحث والتأليف:</u>**

تعددت إسهاماته في مجال البحث والتأليف الجغرافي، حيث أمكن حصر 41 عملًا، شملت جوانب متعددة، تنوعت بين التأليف والترجمة وتصنيف المعاجم وكتابة المقالات وتقديم الأوراق العلمية في المؤتمرات والندوات والمحاضرات العامة. ومنذ نشر أول أعماله في عام 1968، لم يتوقف عن التأليف والنشر حتى أواخر أيامه، وبصفة عامة يمكن تصنيف هذه الإسهامات وفق الآتي (انظر المحلق 1):

- عشرة كتب في مجال التأليف.
- ثمانية كتب في مجال الترجمة.
- تسع مقالات.
- أربعة كتب محررة.
- أربعة فصول ضمن كتب ومقررات.
- أربع أوراق بحثية.

[3] كان ذلك بتاريخ 1996/11/14، حين ناقشت السيدة/ سالمة محمد المنصوري رسالتها لنيل درجة الماجستير، المعنونة بـ"مدينة درنة: دراسة في جغرافية المدن" تحت إشراف د. الهادي أبي لقمة، وكانت المذكورة أول معيدة تقبل بقسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة بنغازي.

- وكتاب واحد يتضمن سيرته الذاتية.

ولعل أبرز الكتب التي شارك في تحريرها ونالت شهرة واسعة، كتاب: "الجماهيرية: دراسة في الجغرافيا" الذي يعد مرجعًا أساسيًّا للطلاب والباحثين والمهتمين، وكتاب "الانفجار السكاني: دراسة في جغرافية السكان" الذي يعد مرجعًا مهمًّا في مجاله، وكتاب "الجغرافيا البحرية" الذي ألفه بالاشتراك؛ ليكون مرجعا أساسيًا لطلاب الكلية البحرية، وكذلك كتاب "مصطلحات ونصوص جغرافية" الذي أعده لمساعدة طلاب الدراسة الجامعية والدراسات العليا على الإلمام بالمفردات الجغرافية الأجنبية المهمة في مجال علم الجغرافيا.

وقد حظيت الترجمة باهتمامه الواضح، ربما لقناعته التامة بأهميتها ودورها في تحقيق التواصل مع الثقافات الأخرى، وعملية نقل المعرفة والإنجازات العلمية والتكنولوجية، وهو في ذلك امتلك رؤية ثنائية ربطت الحاضر بتراث الماضي بإسقاطات المستقبل. ويتضح ذلك من خلال ترجمته أو إشرافه على الترجمة، ومنها موضوعات تتعلق بنبات السيلفيوم الذي كانت له قيمة طبية واقتصادية عظيمة زمن الحضارات القديمة في ليبيا، هذا الموضوع حاز على اهتمامه في فترة مبكرة من نشاطه الأكاديمي، فقام بالإشراف على ترجمة كتاب عن اللغة السويدية تحت عنوان: "أزهار من قورينا" (1993،كرستيناس س. برابرولف ، أزهار من قورينا، بنغازي)، وذكر في حيثيات ترجمة هذا الكتاب ما يأتي:

> لفت انتباهي عام 1970 إعلان عن كتاب نشر في ستوكهولم عاصمة السويد عن أزهار في قورينا، إذ كنت يومها أحاول جمع ما يمكن أن يلقي مزيدًا من الضوء، ويساعدني في إثراء ما يمكن معرفته عن أعجوبة نباتات برقة، ممثلًا فيما اشتهر باسم إكسير الحياة أو السيلفيوم... تمثل صفحات هذا الكتاب مجهودا جماعيا... (يوفر) للقارئ العربي ما له من صلة بهذه الأرض (ليبيا) التي نكن لها الود كله.

من بين الموضوعات التي نالت اهتمامه في هذا المجال –أيضًا– موضوع الكشف الجغرافي الأوروبي للعديد من مناطق البلاد، التي منها كتاب: "الأخوان بيتشي والساحل الليبي" الذي تضمن أعمال مسح ورسم خرائط للساحل وبعض المدن الساحلية. ومنها –أيضا– الرحلات الكشفية التي قام بها الرحالة الأوروبيون لمدن الواحات مثل: غدامس، وغات، ومرزق، وغيرها.

3) في مجال الإدارة الأكاديمية:

قد عاش الدكتور أبو لقمة فترة مهمة من حياته بين أحضان جامعتين عريقتين، هما جامعة القاهرة التي تعد أول جامعة عربية بالمفهوم الحديث، وجامعة درهم إحدى أبرز الجامعات الأوروبية، ونهل فيهما التقاليد الجامعية الأصيلة، هذه المعايشة المبكرة أهلته للمشاركة بجدية واقتدار في إدارة أول جامعة ليبية، حيث تقلد منصب وكيل الجامعة الليبية في الفترة 69–1973، ثم رئيسا لها في الفترة 74–1976، وهي مرحلة مهمة من تاريخ تأسيس الجامعة، شهدت إنشاء المدينة الجامعية بمدينة بنغازي، وتأسيس كلياتها وأقسامها العلمية وإداراتها المختلفة، وقد عمل بإخلاص في سبيل قيام هذا الصرح العلمي، غير أن السنوات اللاحقة شهدت محاولات النظام المسيطر على البلاد إحكام قبضته وبسط سيطرته على الجامعة الفتية، من خلال ما عرف حينذاك بأحداث السابع من أبريل، التي تسببت في فقد الجامعة لاستقلاليتها وإرغامها على التحول عن المبادئ والأهداف التي أعدت لأجلها. وحينما أحس الدكتور أبو لقمة بهذه المحاولات المشبوهة قدم استقالته من رئاسة الجامعة وما يمت إليها من أعمال؛ حتى لا يكون شريكا في تلك المؤمرة التي تهدف إلى إخضاع الجامعة ومنتسبيها، وجعلها أداة طيعة لتحقيق أهداف النظام الحاكم ومخططاته في السيطرة على مقدرات الوطن. وبعد تخلصه من أعباء الوظائف الإدارية سخر طاقاته وإمكاناته كلها لممارسة عمليات التعليم والبحث، مبتعدا قدر الإمكان عن النشاطات المرتبطة بالسلطات الرسمية. غير أن ذلك لم يثنه عن تولي بعض المناصب التي يرى أنها تسهم في تطوير مؤسسات التعليم العالي، ولا تتطلب احتكاكا مباشرا بتلك السلطات، كما شارك في عضوية العديد من اللجان التنظيمية والعلمية التي تطلبتها مراحل مختلفة، من إنشاء الأقسام والكليات العلمية في أنحاء مختلفة من ليبيا، وقد أثبت أهليته وجدارته في المجالات الإدارية والعلمية التي كلف بها كلها.

وضمن هذا السياق –أيضًا– أسهم في تأسيس مجلة قاريونس العلمية، وهي مجلة أكاديمية رصينة تصدرها جامعة بنغازي (جامعة قاريونس حينذاك) وترأس هيئة تحريرها 20 عاما، وقد ذكر في فاتحة أول أعدادها الصادر في عام 1988 –(مجلة قاريونس العلمية، 1988، ص 6)– توجهاتها وأهدافها بأنها:

تصبو إلى تقديم إنتاج متعدد الجوانب، يعتمد اللغة العربية وسيلتها الوحيدة للنشر؛ ليشارك في توفير مادتها العلمية أي عربي مؤهل أينما وجد... فالأمة العربية حبلى بذوي المعرفة والتطلع نحو إبراز المؤهلات العربية وما أكثرها.

4) <u>في مجال خدمة المجتمع:</u>

ينتمي الدكتور أبو لقمة إلى الجيل الذي عاش سنوات التحرر من نير الاستعمار الأجنبي، وتأسيس الدولة المدنية الحديثة، فتشكلت لديه المشاعر والأحاسيس الوطنية والقومية مبكرًا، وانعكست رغبته المخلصة في المشاركة في بناء الدولة الليبية حديثة الاستقلال. وقد تجلّى هذا الشعور لديه منذ بدايات تأسيسه العلمي وهو بصدد الإعداد لرسالة الماجستير (1960)، وكذلك الإعداد لأطروحة الدكتوراة (1964) في جامعته البريطانية. ففي كلا العملين أشار إلى أن ما دفعه إلى اختيار موضوع بحثه هو خدمة بلاده ومجتمعه؛ رغبة منه في الإسهام في توفير البيانات والمعلومات المكتبية والميدانية التي تتطلبها مخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي لا تتوفر آنذاك بسهولة، فإحساسه في غربته بحاجات وطنه، ورغبته في المساهمة في تطوره وتقدمه تتجدد في وجدانه، كما لو أن لسان حاله يتغنى بأبيات أبي تمّام:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبـــــدا لأول منزل

وتتجلّى هذه المشاعر الوطنية والقومية –أيضا– بوضوح في معظم إسهاماته الفكرية والعملية على حد سواء، فقد أهدى باكورة إنتاجه "إلى الشعب الليبي الذي بذل ولايزال يبذل المستحيل من أجل تعليم أبنائه" (أبو لقمة، 1970).

وفي أواخر ستينات القرن الماضي أعد وقدم بصوته برنامجا إذاعيا أسبوعيا بعنوان "من بلاد العالم"، يهدف إلى نشر المعرفة الجغرافية بين أفراد المجتمع، الذي أصدره لاحقا في كتاب يحمل العنوان ذاته، وكان الفقيد شديد الاهتمام بالتعليم وقضاياه، مدركًا دوره الفاعل في تطور المجتمعات وازدهارها، وقد شمل هذا الاهتمام كافة مراحل التعليم ومستوياته، فقد شارك –على سبيل المثال– في تأليف "الأطلس التعليمي للمرحلة الأساسية، بهدف تلبية احتياجات طلاب هذه المرحلة؛ للتعرف على المبادئ الأولية لعلم الجغرافيا" (الأطلس التعليمي للمرحلة الأساسية، طرابلس،1985). كما أن له إسهاماتٍ إيجابيةً في

تطوير التعليم العالي من خلال مشاركته ضمن الفريق الذي كلفته الهيئة القومية للبحث العلمي بدراسة أوضاعه وسبل تطويره والنهوض به.

إن انتماءه وحبه لوطنه وأبناء وطنه شكَّل –أيضًا– أبرز اهتماماته عند اختيار المؤلفات التي قام بترجمتها، فقد ذكر في مقدمة أحد كتبه المترجمة: "هذه الصفحات التي بين يدينا هي في الواقع مفتاح المدخل العلمي للتزود بالكثير من المعلومات، التي لاتزال غامضة لدى الكثيرين عن منطقة شاسعة من بلادنا" (لايون، 1993)، كذلك يبرز اعتزازه بمدن ليبيا وربوعها في كتاب مترجم آخر له (ريتشاردسن، 1993)، ذكر فيه:

> إن ما دفعني وشجعني على نقل الكتاب هو إبراز صورة صادقة لذلك الوضع الذي رأى فيه الرحالة الأوربي الأول، الهيئة والشكل ونمط الحياة للواحات التي أقام بها، كواحة غدامس التي تعد بحق من أعرق مراكز الحضارة الصحراوية الإفريقية.

انتماؤه الوطني وإحساسه بمسؤوليته تجاه ليبيا وأبنائها، يدفعه باستمرار إلى المشاركة في كل سانحة تتاح له لكي يدلي بدلوه مشجعًا ومحرضًا على أهمية إعداد الكفاءات التي تسهم في تنمية المجتمع وتطويره، ففي محاضرة له بمناسبة افتتاح قسم تخطيط المدن بكلية الهندسة بجامعة بنغازي، ذكر أن الغاية من إنشاء هذا القسم هو: "توفير الشباب المؤهل الذين سيمسحون عنها (مدينة بنغازي) صبغة الكآبة التي يروق للكثيرين أن يصفوها بها" (أبو لقمة، 1982، ص 141).

جانب آخر شارك فيه الفقيد تمثل في تأسيس الجمعية الجغرافية الليبية في عام 1981، التي ترأس لاحقا مجلس إدارتها خلال الفترة 1994–2004، والتي تهتم بدراسة القضايا ذات الصلة بجغرافية ليبيا ومشكلاتها، وتفعيل دور الجغرافيين الليبيين، ولم شملهم من خلال عقد العديد من الملتقيات العلمية في مختلف مناطق البلاد، كما أسس مجلة الجمعية التي صدر أول أعدادها في عام 1996، وترأس هيئة تحريرها حتى وفاته، وهي تسعى إلى نشر الثقافة والفكر الجغرافي وتطويره، حيث ذكر في افتتاحية العدد الثالث للمجلة أنّ فكرتها انطلقت "لتكون لسان حال من اتخذوا من هذا التخصص سبيلًا ومسلكًا، ينير لهم طريق مستقبلهم" (أبو لقمة، 2009، ص 7).

الخاتمة:

قدمنا في هذه الدراسة تحليلًا أوليًّا لجوانب من حياة الدكتور الهادي أبي لقمة وإسهاماته الأكاديمية، نأمل أن تتبعها دراسات أخرى أكثر عمقًا وتحليلًا بما يوفّيه ما يستحقه من تقدير وإجلال، نظير ما قدمه لهذا الوطن العزيز وأبنائه، فقد فقدت الأسرة الجغرافية في ليبيا بوفاته أحد أبرز أعلامها، فهو صاحب قامة عالية في مجال تخصصه الذي ظلَّ مخلصا له حاملًا لوائه باقتدار طوال حياته مفكرًا ومنظّرًا. وفي هذا الشأن، أشار أحد العارفين إلى أهمية دور الفكر المستنير في بناء الأجيال وتحقيق التواصل بينهم قائلًا: "قد يرحل جسد المرء ولكن تبقى كلمته النافعة التي أبدعها تروي أجسادًا أخرى، فتظل روحه ماكثة في الأرض وقابعة في نفوس تلاميذه" (إبراهيم، 2012، ص 172). ولعل ما ورد في ثنايا الجملة السالفة يحثّ من اطلع على أفكار الدكتور أبي لقمة المستنيرة والقيم السامية التي آمن بها على تقفي أثره والسير على نهجه، والعمل على بثّ هذه الأفكار والمثل التي آمن بها وانتهجها، فالواجب يفرض علينا نحن من تتلمذنا في مدرسته الاعتراف بفضله، فالموت حق لا جدال فيه، والوفاء واجب ينبغي الالتزام به.

قد اتسمت سيرة الدكتور أبي لقمة ومسيرته الأكاديمية والفكرية، بالإخلاص والتفاني والإتقان في مجال عمله الذي كرّس له حياته وتخصصه الذي نبغ فيه، كل هذه السمات والخصائص كانت حافزًا ومحرّكًا لكل إنجازاته وإسهاماته التي ستذكرها الأجيال اللاحقة وتفخر بها. وقد صدق الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– حين قال:

ما الفخر إلّا لأهل العـلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجـــاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيًّا به أبـــدا الناس موتى وأهل العلم أحيـاء

تقبل الله فقيدنا بالرحمة والمغفرة، وأسكنه فسيح جناته.

قائمة المصادر:

1. إبراهيم، علاء عبدالمنعم (2012)، عندما تتكلم الفصول "قراءة في كتاب نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي– ت779هـ" حكاية اسمها الإنسان. مجلة العربي، العدد 643.
2. أبو لقمة، الهادي (د.ت.)، السلفيوم: الثروة المفقودة. منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
3. أبو لقمة، الهادي مصطفى (1968)، دراسات ليبية، سلسلة رقم 1. منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس.

4. أبو لقمة، الهادي مصطفى (1970)، من بلاد العالم. دون بيانات نشر.
5. أبو لقمة، الهادي مصطفى (1982)، "مدينة بنغازي وقسم تخطيط المدن". مجلة كلية الآداب والتربية، العدد 11.
6. أبو لقمة، الهادي مصطفى (قيد النشر) مخطوطة كتاب "حياة عشتها".
7. أبو لقمة، الهادي والهرام، فتحي، (1985)، الأطلس التعليمي للمرحلة الأساسية. اللجنة الشعبية العامة للتعليم، طرابلس.
8. أبو لقمة، الهادي مصطفى والقزيري، سعد خليل (تحرير)، (1995)، الجماهيرية: دراسة في الجغرافيا. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت.
9. أبو لقمة، الهادي (2009)، "الافتتاحية"، مجلة الجمعية الجغرافية الليبية، العدد الثالث.
10. أمين التحرير (1988)، كلمة العدد، مجلة قاريونس العلمية، السنة الأولى، العدد الاول.
11. برايرولف، كرستيناس س. (1993)، أزهار من قورينا. تحرير الهادي مصطفى أبولقمة. منشورات جامعة قاريونس، بنغازس.
12. بيضون، إبراهيم (2011)، في الذكرى الخامسة لرحيل نيقولا زيادة: مؤرخ الأمة. مجلة العربي، العدد 637، الصفحات 136–141.
13. الجبوري، حسين محمد، (2013)، منهجية البحث العلمي: مدخل لبناء المهارات البحثية. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان.
14. الجلواح، محمد (2013)، "ملاحقة التراث" مجلة العربي العدد 658، ص 210.
15. الجوادي، محمد (2005)، د. أحمد زكي: حياة ثرية بالرغم من بعد الرحيل. مجلة العربي، العدد 557، الصفحات 110–114.
16. الدقاق، عمر (1977)، خيرالدين الزركلي علم الأعلام. مجلة العربي، العدد 224، الصفحات 46–48.
17. ريبشاردسن، جيمس (1993)، ترحال في الصحراء، ترجمة: الهادي مصطفى أبولقمة. منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

18. الزركلي، خيرالدين (2008)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. دارالعلم للملايين، بيروت.
19. الفائدي، محجوب عطية (2013)، من تاكنس إلى تكساس: سيرة حياة شخصية. بنغازي، المؤلف نفسه.
20. قسم الجغرافيا، جامعة قاريونس (د.ت.)، دليل قسم الجغرافيا 2004–2005، دون بيانات نشر.
21. الكبتي، سالم (2005)، وميض البارق الغربي: نصوص ووثائق عن الشاعر أحمد رفيق المهدوي. منشورات مكتبة 5 التمور، بنغازي
22. لايون، ع. ف.، (1993)، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي مصطفى أبولقمة. منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
23. اللجنة الإدارية للجمعية الجغرافية الليبية (2011)، الجمعية الجغرافية الليبية: الواقع والآفاق 1981–2011، دار ومكتبة الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي.
24. المصراتي، علي مصطفى (2002)، مؤرخون من ليبيا: مؤلفاتهم ومناهجهم، عرض ودراسة. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة.
25. النجار، حسين فوزي، (1964)، التاريخ والسير. دار القلم، القاهرة، ص 61. نقلاً عن: إسراء سالم موسى الخزاعي، 2017، السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة القادسية. متوفرة على:. http://qu.edu.iq/resository/wp-content/uplads/2017/04 تم الاطلاع بتاريخ 2017/06/26.
26. الهيئة القومية للبحث العلمي (1998)، التعليم العالي في ليبيا: دراسة مقارنة. الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس.
27. Blackburn R. and Lawrence, J.H. (1995), Faculty at work: motivation, expectation, satisfaction. London: The John Hopkins University Press.
28. Bulugma, H.M.R. (1960), The western coastal zone of Tripolitania: a human geography. Unpublished MA degree, the University of Durham.
29. Bulugma, H.M.R. (1964), The urban geography of Benghazi. Unpublished PhD degree, the University of Durham.

30. Jacob, D. (2007), "Critical biography and management education." Academy of Management Learning Education, vol. 6, no. 1, pp. 104-108.
31. Kessler-Harris A. (2009), "Why biography?". American Historical Review, vol. 114, no. 3, p. 630.

الملحق رقم (1)

الآثار المنشورة للدكتور الهادي أبي لقمة مرتبة زمنيا

ت	السنة	النوع	العنوان	ملاحظات
01	1968	تأليف	Benghazi through the ages	/
02	1968	ترجمة	أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة عام 1817 .	/
03	1970	تأليف	دراسات ليبية، سلسلة رقم 1.	/
04	1970	تاليف	من بلاد العالم	
05	1972	مقالة	مقومات تخطيط المدينة العربية والمعايير والقيم القياسية اللازمة لها.	/
06	1975	ترجمة	مشروع الاستيطان اليهودي في برقة.	بالاشتراك
07	1980	ترجمة	مدينة طرابلس بمدخليها الغربي والشرقي في رسائل إلى الأهل.	/
08	1982	مقالة	مدينة بنغازي وقسم تخطيط المدن.	/
09	1984	مقالة	الجغرافيا البحرية بين النشأة والتطور.	/
10	1984	مقالة	الاستيطان الإيطالي في ليبيا.	/
11	1985	تأليف	الأطلس التعليمي للمرحلة الأساسية.	بالاشتراك
12	1985	تأليف	السلفيوم: الثروة المفقودة.	/
13	1987	تأليف	الجغرافيا البحرية.	بالاشتراك
14	1988	ترجمة	تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير.	بالاشتراك
15	1989	مقالة	لنشرب من البحر	/
16	1991	ترجمة	منظمة الأوبك: خمس وعشرون سنة من الأسعار والسياسات.	بالاشتراك
17	1993	تأليف	الانفجار السكاني: دراسة في جغرافية السكان.	/
18	1993	ترجمة	جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصحراء.	/
19	1993	تحرير	أزهار من قورينا.	/
20	1993	ترجمة	مدخل إلى الصحراء	/
21	1994	تحرير	العلوم الجغرافية وحماية البيئة. أعمال الملتقى الجغرافي الأول.	/

22	1995	ترجمة	الأخوان بيتشي والساحل الليبي 1821-1822.	/
23	1995	تحرير	الجماهيرية: دراسة في الجغرافيا.	بالاشتراك
24	1995	فصل	مدخل عام، في كتاب: الجماهيرية: دراسة في الجغرافيا	/
25	1995	فصل	البيئة الطبيعية والتطور التاريخي، كتاب غدامس، التحضر والقاعدة الاقتصادية	/
26	1995	فصل	التطور التاريخ والظروف الجغرافية، كتاب مرزق، التحضر والقاعدة الاقتصادية	/
27	1995	مقالة	الانفجار السكاني: هل من مفر؟	/
28	1996	مقالة	غات: قراءة في أوراق الرحالة جيمس ريبشارد.	/
29	1997	ورقة بحث	سرت الخليج والساحل: إشكالات جغرافية.	/
30	1997	تحرير	الساحل الليبي.	بالاشتراك
31	1997	فصل	التاريخ البحري الليبي، في كتاب الساحل الليبي.	/
32	1998	تأليف	دراسات ليبية، سلسة رقم 2.	/
33	1998	مقالة	نحن والمياه.	/
34	1998	ورقة بحث	سرت الخليج والساحل: الرمال الحارقة.	/
35	2002	تأليف	مصطلحات ونصوص جغرافية.	/
36	2003	ورقة بحث	تحليل الواقع المكاني للسكان في الجماهيرية.	/
37	2007	ورقة بحث	الموارد المائية في منطقة الجبل الأخضر: استثمارها وسبل تنميتها.	/
38	2009	مقالة	الموارد الطبيعية لمنطقة خليج سرت: واقع للتقصي.	/
39	/	تأليف	دراسات ليبية، سلسلة رقم 3.	قيدالنشر
40	/	تأليف	دراسات ليبية، سلسة رقم 4.	قيدالنشر
41	/	تأليف	حياة عشتها، سيرة ذاتية	قيد النشر

المصدر: جمعها الباحث من مصادر مختلفة.